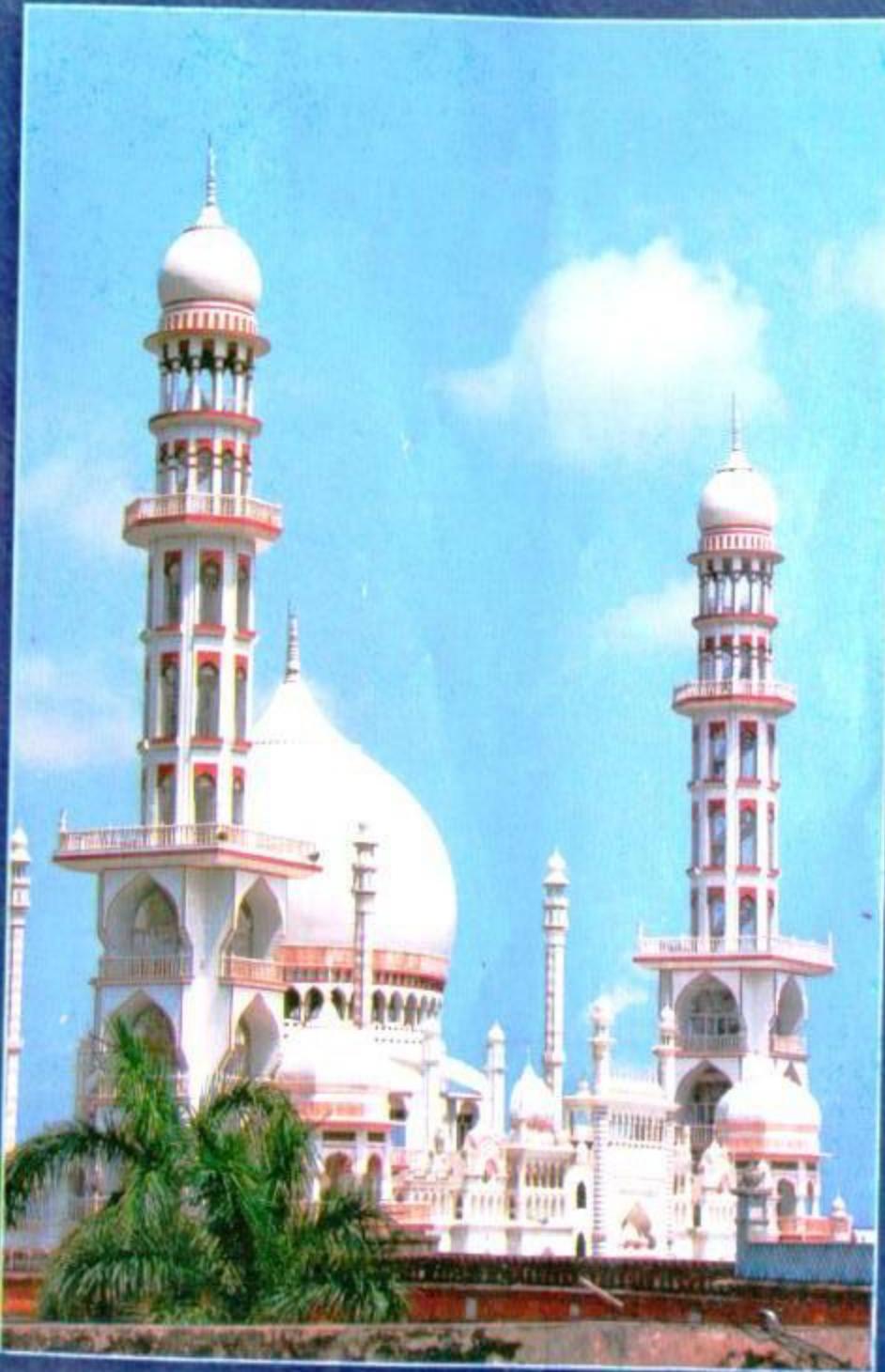


نظرة خاطفة  
على دار العلوم ديواندہ،  
الجامعة الإسلامية:  
دار العلوم دیوبند، ہند



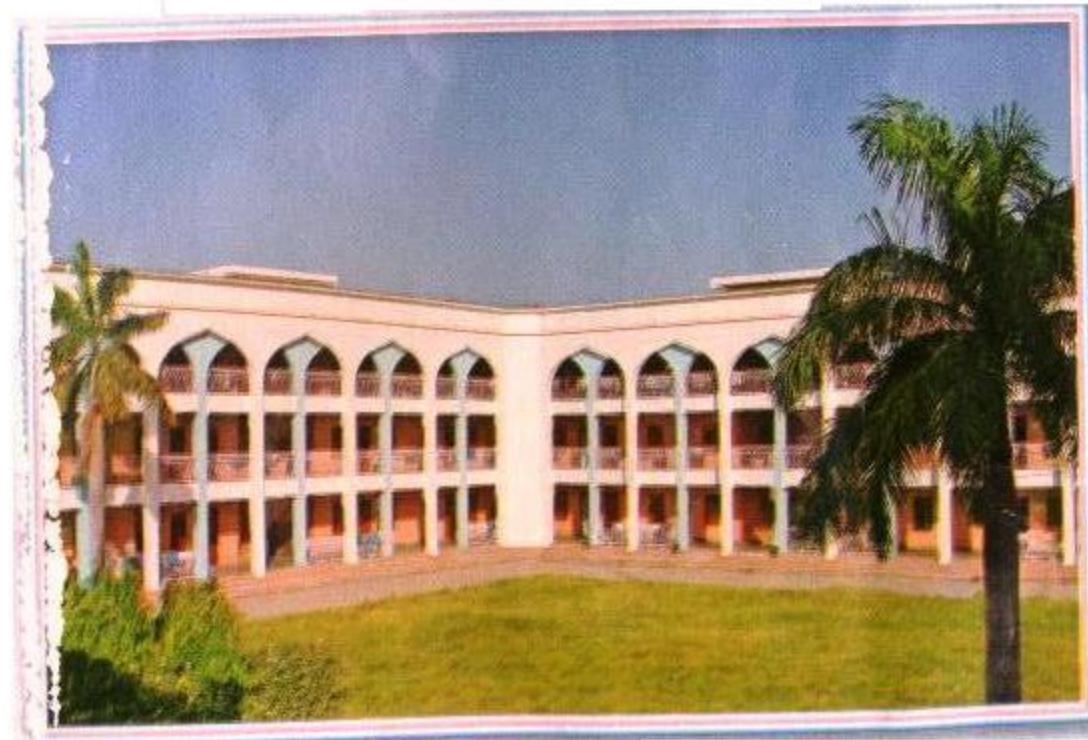


نظرة خاطفة  
على  
**الجامعة الإسلامية: دارالعلوم، ديواند، الهند**



جنة الاسلام منزل (مدرسة ثانوية)

**تأليف**  
الشيخ نور عالم خليل الأميني  
رئيس تحرير مجلة «الداعي» وأستاذ الأدب العربي بالجامعة



ملتزم الطبع والنشر والتوزيع  
**الجامعة الإسلامية دارالعلوم ، ديواند ، الهند**

نظرة خاطفة على  
**الجامعة الإسلامية**  
**دار العلوم ، ديويند ، الهند**

أم المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية بشبه القارة الهندية (\*)

بعد ما فشلت ثورة ١٨٥٧ م (١٢٧٤ هـ) الشهيرة ضد الأخطبوط الإنجليزي في شبه القارة الهندية التي قام بها جميع الشعب الهندي ، وتناثرت الحالة سوءاً ؛ حيث لفظت الدولة المغولية الإسلامية القائمة إسمها في دهلي أنفاسها الأخيرة ؛ إذ فشلت الثورة بمؤامرات من داخل الصف ، وبقوة الجنود والبنود وكثرة العدد والعدد من قبل الاستعمار ، وعلى ذلك فتم استيلاء الإنجليز على الهند كلها شرقاً وغرباً ، فوضعوا السيف في المسلمين في دهلي وفي أرجاء البلاد ، وكثر القتلى والجرحى ، وامتلأت الشوارع والطرقات بجثث الشهداء ، وتعرض العلماء ورجال الفكر والدعوة خصيصاً لغضب الإنجليز ، فقتلوا تقتيلاً وشردوا تشريداً ، وأعدموا شنقاً بعدد لا يُحْصَى . ومن تخلص منهم من ذلك كله نفوا إلى جزيرة «إندونيسيا» التي كانت منفي سياسياً على عهد الإنجليز ، لكونها

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

ما قَرَّتْ عيني بشيء في الهند  
بمثل ما قَرَّتْ برأيَة جامعة ديويند

(العلامة رشيد رضا المصري  
صاحب «المنار»)

(\*) قدم المقال إلى مؤتمر جائزة الإمام محمد قاسم النانوبي مؤسس الجامعة الإسلامية دار العلوم / ديويند وحركة المدارس الإسلامية بشبه القارة الهندية، المنعقد يوم الأحد: ١٥/١٤٣٢ هـ الموافق ٢٤ / أكتوبر ٢٠١٠ بمدينة «إسطنبول» التاريخية عاصمة الخلافة العثمانية بتركيا.

الاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية ، فـَكَر علماء الإسلام وقادة سفينة الإسلام والمسلمين في الهند في جميع الطرق التي كان من شأنها أن تساعدهم على عملية الإبقاء على الكيان الإسلامي في هذه البلاد والحفاظ على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وعقيدة الدين الإسلامي الأصيلة ؟ فألقى الله في رُؤُعِهم أن يبدأوا بسلسلة إقامة الكتاتيب الدينية والمدارس الإسلامية الأهلية السائرة بتبرعات الشعب المسلم ، وأراهم الله تعالى أن ذلك هو وحده الطريق الأنفع للإسلام إلى بقاء الإسلام والمسلمين في هذه الديار في هذه الظروف ؛ حيث ستتشرّب بذلك علوم الكتاب والسنة والتعاليم الإسلامية ويستمرّ بقاء المسلمين على دينهم رغم قساوة الظروف وشدة المحن .

وكان على رأس هؤلاء العلماء والمشايخ الإمام محمد قاسم النانوتوي (المتوفى عام ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م) الذي أسس بتعاون من زملائه ومشورتهن ، أمثال : المحدث الفقيه رشيد أحمد الكنكوفي (المتوفى ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي (المتوفى ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م) وال حاج السيد محمد عابد الديوبندي (المتوفى ١٣٣١هـ / ١٩١٢م) والشيخ محمد يعقوب النانوتوي (المتوفى ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٤م) والشيخ رفيع الدين (المتوفى ١٣٠٨هـ الموافق ١٨٩٠م) والشيخ فضل الرحمن العثماني الديوبندي (المتوفى ١٣٢٥هـ الموافق ١٩٠٧م) مدرسة صغيرة يوم الخميس ١٥ / محرم الحرام ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠ مايو ١٨٦٦م ، في مسجد

غير ملائمة طبيعياً وجغرافياً للحياة الإنسانية والصحة الجسمانية . وبعد ما فشلت محاولات صدام مكشوف مرات كثيرة مع الاستعمار الإنجليزي الذي كان قد قضى نهائياً على الدولة المغولية الإسلامية ، وأحكم قبضته على الهند من أقصاها إلى أقصاها. كانت آخر هذه المحاولات الجريئة معركة الجهد التي خاضها الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس جامعة ديويند وزملاؤه وشيوخه العظام في قرية « شاملي » بمديرية « مظفر نكر » بولاية « أترا براديش » تلك التي سقط فيها أحد العلماء الربانيين الكبار الحافظ « ضامن علي » وغيرهم شهداً على أرض المعركة .

ثم خِيَمَ الظلام على الهند كلها ؛ حيث صادر الإنجليز جميع الأوقاف والعقارات والإقطاعات التي كانت تُمْدِدُ المدارس الإسلامية بالحياة ، وعملوا على تجفيف منابع الإشعاع والإصلاح والفكر والدعوة والتعليم والتربية ، حتى يتحول المسلمون مع الأيام جُهَّالاً يسهل صوغهم في بوتقة المسيحية المحرفة .

وبعد ما اشتدت وطأة التبشير المسيحي على الدين الإسلامي الذي كانت تُمْدِدُه دولة الاستعمار الإنجليزي الموطدة الأركان ، الشامخة البنيان ، المتدة الأطراف التي كانت لا تغرب عنها الشمس . وبعد ما كثرت هجمات الدعوة الهندوسية على الإسلام التي كانت تضم صوتها إلى صوت التبشير المسيحي في أغلب الأحياء ؛ فالباطل يلتقي دائمًا مع الباطل على النقطة المركزية .

بعد ما حصل كل ذلك ، وأصبح المسلمون بالنسبة إلى

ويُسقي «سهارنبور» من الشرق نهرٌ «كنج» ومن الغرب نهر «جنا» الشهيران المقدسان لدى الهندوس . ويُشكّل المسلمون فيها - ديويند - نسبة ٥٥٪ .

وتُعدّ «ديوبند» من البلاد القديمة جدًا على أرض الله؛ فيري الشيخ ذو الفقار علي الديوبندي وغيره من العلماء أنها من المناطق التي حظيت بالعمران فيما بعد طوفان نوح عليه السلام . وظل اسمها يتغير كما هو شأن أسماء الأمكنة في العالم ، فكان «ديوبنْ بنْ» ثم كان «ديوبنْد» بكسر الدال المهملة ، فالباء الساكنة ، فالواو الساكنة ، فالباء المفتوحة الموحدة ، فالنون الساكنة ، فالدال المهملة الساكنة .

وقد أُنجبت «ديوبند» على مر العصور العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء . وطبق صيتها - كما ذكرنا آنفًا - الآفاق بفضل الجامعة الإسلامية دار العلوم / ديويند ، وأحياناً بذات شهرتها شهرة الهند ، فعُرِفت الهند عن طريق «ديوبند» بأنها البلد الذي تقع فيه مدينة «ديوبند» التي تختضن الجامعة الإسلامية الأمّ دار العلوم / ديويند .

وهي إحدى القرى الجامعية في مديرية «سهارنبور» (SAHARANPUR) آخر المديريات في جهة الغرب للولاية الشمالية المعروفة بـ «أترابراديش» (UTTAR PARDESH) .

وتوجد في المدينة خرائب وأثار قلقة قديمة ، كما توجد قلعة بُنيَت على عهد الإمبراطور المغولي «أكبر» المتوفى ١٤١٠ هـ -

أثري صغير (يقع في الجانب الجنوبي الشرقي من الحرم الجامعي اليوم ويُعرف بـ «مسجد تشتته») كانت نواتها مدرساً واحداً اسمه «الملا محمود» وتلميذاً واحداً كان اسمه «محمود حسن» الذي اشتهر فيما بعد بـ «شيخ الهند» والذي قاد حركة تحرير الهند بشكل أثمر الاستقلال (توفي عام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م) . وذلك بقرية «ديوبند» DEOBAND الجامعية التي كانت لا تتمتع بأية ميزة آنذاك ، ثم صارت قرية جامعة كبيرة بفضل هذه المدرسة التي سُمِّيَتْ لدى تأسيسها تسميةً بسيطةً باسم «المدرسة الإسلامية العربية» ثم طبق صيتها القرية «ديوبند» خلال مدة قليلة أرجاء الهند حتى تجاوز إلى البلاد النائية ، حتى صارت الآن مدينة نالت من الشهرة ما لم تنه كثير من المدن الرئيسة في الهند . وهي تقع على مسافة نحو ٩٢ ميلاً (١٥٠ ك. م.) في الجانب الشمالي من دہلی عاصمة الهند.

#### قرية ديويند

وهذه القرية تقع في مديرية «سهارنبور» بولاية «أترابراديش» وتحيط بها من الجنوب مدينة «مظفرنكر» التي تبعد عنها بمسافة ٢٥ ك. م . ومن الجانب الشمالي الشرقي مدينة «روركي» التي تبعد عنها بنحو ٣٢ ك. م، ومن الشرق مدينة «بنجرور» التي تبعد عنها بنحو ٨٠ ك. م، ومن الجانب الشمالي الغربي مدينة «سهارنبور» التي تبعد عنها بمسافة نحو ٤٨ ك. م، ومن الجانب الغربي مدينة «كرنال» التي تقع في ولاية «هريانا».

والمحدث أحمد علي السهارنوري (المتوفى ١٢٩٧هـ). كان أزهد الناس وأكثرهم عبادة وذكراً، وأبعدهم عن زي العلماء، ولبس المتفقهة من العمامات والطيسان وغيرها. له مشاهد عظيمة في المباحثة مع النصارى، وعلماء الديانة الآرية الهندوسية، أشهرها المباحثة التي عُقدَت ببلدة «تشاندابور» بمديرية «شاه جهانبور» بولاية «أترابراديش»؛ فناظر أحبار النصارى وأساقفهم، وعلماء الهندوك غير مرة، فغلبهم وأقاموا الحجة عليهم. وله مصنفات علمية دقيقة تبلغ زهاء ثلاثين، تدل على سعة علمه، وعمق تفكيره، ودقة نظره في دقائق العلوم، ومعارف الكتاب والسنة، وحكمه البالغة في الجمع بين خيري الدين والدنيا.

قاد حركة التحرير، والثورة على الاستعمار البريطاني في مستهل عام ١٨٥٧م؛ فكان قائداً لقوات المسلمين في ساحة «تهانه بهون» و«شاملي» وقد أبلَّ فيها بلاءً حسناً، سجّله التاريخ بحروف ذهبية، ولما أخفقت هذه الثورة لأسباب مؤسفة، ولم يعد للMuslimين طريق يضمن لهم الثبات على دينهم، بدأ العلماء، وعلى رأسهم الإمام النانوتوبي، بحركة شاملة لنشر التعليم الديني والثقافة الإسلامية في المسلمين عن طريق مدارس وكتاتيب إسلامية عادها التبرعات الشعبية العامة. وفعلاً قام هو، وأصدقاؤه بتأسيس مدرسة إسلامية في «ديوبند» لتكون معلِّم المسلمين، ومركزَ التوجيه للشعب المسلم.

كما أسس بيده عدداً من المدارس في عدد من المدن والقرى،

١٦٠٥ قال عنها المؤرخ أبو الفضل في كتابه «آئين أكبرى» (الدستور الأكبري) باللغة الفارسية: «ديوبند، قلعه أز خشت پخته دارد» (آئين أكبرى، ج: ٢، ص: ١٤٣). أي: إن ديوبند فيها قلعة مبنية من الأجر المنضوج.

وفيها مساجد كثيرة بُنيَت على العهد الإسلامي في الهند، منها مسجد القلعة المبني على عهد السلطان «سكندر» اللودهي المتوفى ٩٢٣هـ - ١٥١٧م، ومسجد الخانقاه (مسجد التكية) المبني على عهد الإمبراطور «أكبر» ومسجد في حي «أبو المعالي» بني على عهد الملك المغولي الصالح أورنك زيب عالمكير المتوفى ١١١٨هـ - ١٧٠٦م. وهي مساجد توجد عليها لوحات تاريخها، وهناك مساجد يقال: إنها أقدم منها، ولكن لا يوجد على ذلك دليل تاريخي.

#### مؤسس جامعة ديوبند

أما مؤسس جامعة ديوبند فهو: الشيخ الإمام حجة الإسلام في الهند، العالم الكبير محمد قاسم بن أسد علي الصديقي النانوتوبي أحد العلماء الربانيين الكبار والمفكر الإسلامي العبقري الفريد في عصره. ولد عام ١٢٤٨هـ ببلدة «نانوته» بمديرية «سهارنور» بولاية «أترابراديش» الهند، وتوفي سنة ١٢٩٧هـ ببلدة «ديوبند» ودُفِنَ بها. تلمذ على الشيخ ملوك العلي النانوتوبي (المتوفى عام ١٢٦٧هـ) وقرأ عليه سائر الكتب الدراسية، وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الغني المجدد الدهلوبي (المتوفى سنة ١٢٩٦هـ)

الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي ابن الشيخ العالم الأديب شاعر العربية ذو الفقار علي الديوبندي المتوفى ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م . تخرج عليه كبار العلماء في الهند ، ولد عام ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥١م . وكان الشيخ محمود حسن على رأس الدفعة الأولى من الطلاب التي التحقت بالجامعة الإسلامية دار العلوم / ديويند؛ حيث كان لدى تأسيسها يوم الخميس ١٥ محرم ١٢٨٣هـ الموافق ٣٠ مايو ١٨٦٦م يحتاز المراحل الثانوية من تعليمه؛ فالتحق بها وتخرج منها عام ١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٣م . وُؤلِي التدريس بالجامعة عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م ، ثم مُنح الترقية ، وبات رئيس هيئة التدريس بها عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م .

كان الشيخ محمود حسن آية باهرة في علو الهمة وبعد النظر ، والأخذ بالعزيمة ، وحبّ الجهاد في سبيل الله ، شديد البغض لأعداء الإسلام ، كثير التواضع ، دائم الابتهاج ، ثابت الجأش ، جيد المشاركة في جميع العلوم العقلية والنقلية ، مُطلعاً على التاريخ ، كثير المحفوظ للشعر ، كثير الأدب مع المحدثين والأئمة المجتهدين ، تلوح على محياه أمارات التواضع والحلم ، وتشرق أنوار العبادة والمجاهدة في وقار و هيبة .

وكان أعلم العلماء بالعلوم النافعة ، وأحسن المتأخرین ملکة في الفقه وأصوله ، وأعْرَفَهُم بِنَصْوَصِهِ وقواعده . ولقبه الشعب المسلم الهندي بـ «شيخ الهند» وبهذا اللقب كان يُعرف في شبه القارة الهندية .

منها «الجامعة القاسمية مدرسة شاهي» بمدينة «مرادآباد» بولاية «أترا براديش» ومدرسة «منبع العلوم» بمدينة «كلاوتشي» بمديرية «بلاند شهر» بولاية «أترا براديش» ومدارس أخرى بكل من «تهانه بهوان» بمديرية «مظفر نكر» و«كيرانه» بمديرية «مظفر نكر» و«دانبور» بمديرية «بلاند شهر» ومدينة «ميروت» .

وبذلك فكان الإمام محمد قاسم مؤسس حركة حية شاملة لإقامة المدارس والكتاتيب الإسلامية إبقاءً على الإسلام والمسلمين في هذه الديار الواسعة التي تُعرَفُ بـ «شبه القارة الهندية» .

وتوفي رحمه الله في ٤٩ من عمره وقت صلاة الظهر ، يوم الخميس ٤ / جمادى الأولى ١٢٩٧هـ ، ودُفِنَ في قطعة أرضية وهبها لدفنه بعض محبيه في الجانب الشمالي الغربي من دار العلوم / ديويند ، ثم عُرِفَتِ القطعة بـ «المقبرة القاسمية» ودفن ولا يزال بها معظم مشايخ وأساتذة دار العلوم والعلماء والصلحاء الآخرون<sup>(١)</sup> .

**حديث عن التلميذ الأول بجامعة ديويند**  
أما التلميذ الأول في هذه المدرسة الإسلامية العربية التي صارت الآن جامعة إسلامية فريدة في العالم ، فهو :

(١) انظر للتوضيح في ترجمته : « تاريخ دار العلوم / ديويند » بالأردية لمؤلفه الشيخ السيد محبوب رضوي ج ١ ، و « سوانح قاسمي » بالأردية في ثلاثة مجلدات لمؤلفه الكاتب الإسلامي والعالم الهندي الباحث الشيخ مناظر أحسن الكيلاني ، و « نزهة الخواطر » ج ٧ ، ص ٣٢٠-٣٢٢ ، ط : لكنز ١٩٩٣ م لمؤلفه المؤرخ الهندي السيد عبد الحي الحسني ، و « الإمام محمد قاسم النانوتوي » بالأردية لمؤلفه الشيخ نور الحسن راشد الكاندهلوبي .

بدوره إلى «إسطنبول» وفي طريقه إليها وصل الحجاز ، واجتمع بـ «غالب باشا» وقائد قوات تركيا «أنور باشا» و«جمال باشا» وغيرهم ، وكلهم أكدوا له بكل دعم مادي وعسكري ، ورضيت ألمانيا كذلك بالتعاون معه؛ لكونها حليفة لتركيا . وكان الغرض هو الهجوم على الهند بمعاونة القبائل المسلمة الحرة بدعم من تركيا وحلفائها ، في الوقت الذي كانت بريطانيا مشغولة فيه في شتى الجهات بمجابهة جيش التحالف خلال الحرب الكونية الأولى (1914-1918م) وكانت الفكرة صائبة حكيمه جداً ، غير أنها لم توضع موضع التنفيذ من أجل أسباب عديدة تختصر في انهزام تركيا في الحرب العالمية ، واعتقال شيخ الهند وسجنه بيد الشريف حسين بن علي (1856-1931م) أمير مكة الذي خرج على تركيا وتحالف مع الإنجليز ، وخيانة بعض من وثق بهم شيخ الهند .

وبما أن بعض الرسائل التي تم بها الاتصال بين رموز الحركة كانت مكتوبةً على قماش من الحرير الأخضر . فسميت الحركة بـ «حركة الرسائل الحريرية» .

والجدير بالذكر أن المتحف البريطاني يحفظ الوثائق وتقارير مخابرات الحكومة البريطانية بكامل تفاصيلها عن هذه الخطة ، وقد نُشرت الوثائق بالأردية . وكانت الخطة تهدف القضاء على الحكم الإنجليزي لا في الهند وحدها ولكن في سائر المستعمرات البريطانية . وكان الشيخ محمود حسن أنساً مراكز في كل من دلهي ، وكراتشي ، وأثمان زي ، وراندير ، للتدريب العسكري وتحريض

وضع خطّة محكمة لتحرير الهند من مخالب الاستعمار الإنجليزي عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م ، وكان يودّ أن يستعين فيها بالحكومة الأفغانية والخلافة العثمانية . وقد هيأ لذلك جماعة من تلاميذه تمتاز بالإيمان القوي ، والطموح ، والثقة بالنفس ، والتوكّل على الله ، والحزم وثقوب النظر . وكان من بينها الشيخ عبيد الله السندي (المتوفى ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م) والشيخ محمد ميان منصور الأنصارى (المتوفى ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) وكان الاتصال يتم بينه وبين تلاميذه وأصحابه المناضلين عن طريق الرسائل التي كانت تُكتب على الحرير ، ومن هنا اُعرف نضاله ضدّ الاستعمار بـ «حركة الرسائل الحريرية» .

وقد أعدّ لذلك مراكز مأمونة في المناطق المتاخمة للهند التي تتصل بأفغانستان ، ويسكنها مسلمون قبليون أحرار جلداء أباة الضيم ، ولا سيما «ياستان» وقد وجّه إليها للبدء في تنفيذ الخطة من تلاميذه مولانا فضل ربى ، ومولانا سيف الرحمن ، ومولانا فضل محمود وغيرهم . ورضي المسلمين في تلك المنطقة لبذل النفس والتفيس ؛ لأنهم كانوا مفعمين غضباً على الإنجليز من قبل . وكانت استيكات مع الإنجليز حَقّ فيها المسلمين انتصارات رغم قوة الإنجليز العسكرية ؛ لكن المسلمين من أجل حرب شاملة حاسمة كانوا يحتاجون إلى الإمدادات العسكرية والمؤن والمعدات ؛ فكتبوا إلى شيخ الهند يطلبون منه ذلك ، فوجّه تلاميذه العقري ذا العقل السياسي المحنك الشيخ عبيد الله السندي إلى «کابل» وتوجه

استقبالاً لم يعهد الناس مثله .  
ورغم كبر سنه وضعفه ومرضه وكونه مُخطئاً لطول الأسر في  
الغربة ، لم ير أن يستجم في وطنه «ديوبند» وإنما ظل يزور ويحول في  
أرجاء البلاد يدعو الشعب إلى النضال ضد الإنجليز ومقاطعتهم ،  
من خلال خطبه ومحاضراته . وفي هذه الحالة سافر إلى «عليجراء»  
ووضع حجر الأساس للجامعة المليلية الإسلامية يوم ٢٩ / أكتوبر  
١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) وقد انتقلت فيما بعد إلى دهلي ، وهي  
اليوم إحدى الجامعات الحكومية المركزية الكبرى بالهند .

ثم اشتد به المرض والضنى ، حتى استأثرت به رحمة الله تعالى  
في صباح يوم ١٨ / ربيع الأول ١٣٣٩هـ الموافق ٣٠ / نوفمبر  
١٩٢٠م ؛ وذلك في دهلي ؛ حيث كان يتلقى العلاج . ونقل جثمانه  
في اليوم التالي إلى «ديوبند» ودفن بجوار أستاذه العظيم الإمام محمد  
قاسم النانوتوي المتوفى ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م في المقبرة الجامعية التي  
عرفت بـ «المقبرة القاسمية» .

وقد تشرف رحمه الله بنقل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة  
الأردية، وهي من أحسن الترجم الأردية وأكثرها قبولاً ورواجاً ،  
وأضاف إليه تلميذه العلامة شبير أحمد العثماني الديوبندي ثم  
الباكستاني المتوفى ١٣٦٩هـ / ١٩٨٩م تعليقات مفيدة عُرفت  
بـ «التفسير العثماني» . وقد قام مجمع الملك فهد لطباعة المصحف  
الشريف بالمدينة المنورة بطباعة هذه الترجمة مع التفسير عام  
١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م بعدد مئات الآلاف وتوزيعها على

جنود الإنجليز على الثورة ، وتهيئة المناخ للاقتراض الشاملة ، كما  
أنشأ خمسة مراكز في تركيا ، والمدينة المنورة ، وبرلين ،  
والقدسية ، وأنقره ؛ وذلك لتحريض بعض الدول على إشعال  
الحرب والحصول على التأييد العسكري والدعم المعنوي . كما قام  
الشيخ بإرسال خمس بعثات إلى اليابان ، والصين ، والولايات  
المتحدة ، وفرنسا لحمل كل منها على تأييد الشعب الهندي ، وأنشأ  
حكومة مؤقتة في «كابول» وكانت تركيا معقد الآمال في شن  
الحرب ضد الإنجليز (حركة الرسائل الحريرية بالأردية)

ولتنفيذ خطته سافر الشيخ محمود حسن رغم رسمه كبر سنه إلى  
الحجاج عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ، وقابل في المدينة المنورة كبار  
المسؤولين عن الخلافة العثمانية ؛ ولكن من سوء الحظ اطلعت  
حكومة الاستعمار الإنجليزي على الرسائل الحريرية عام ١٣٣٤هـ  
/ ١٩١٦م ، وألقت عليه القبض عن طريق الشريف حسين أمير  
مكة - الذي كان قد خرج على الدولة العثمانية - في صفر ١٣٣٥هـ  
/ نوفمبر ١٩١٦م ومعه عدد من تلاميذه وأصحابه ، من بينهم  
الشيخ السيد حسين أحمد المدنى المتوفى ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ،  
وسافر إلى «مالطة» وسُجِّنوا بها ؛ حيث لبوا بها نحو ٣ سنوات  
вшهرين ، وأطلق سراحهم في جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ / يناير  
١٩٢٠م ، ووصل الشيخ محمود حسن الهند يوم ٢٠ / رمضان  
١٣٣٨هـ الموافق ٩ / مايو ١٩٢٠م ، وتلقاه الناس بحفاوة غير  
عادية ، وغلب عليه لقب «شيخ الهند» واستُقبل في كل مكان

ال المسلمين في العالم<sup>(٢)</sup>.

### المدرسة تحول جامعة

عليهم هم الذين يقودون منذ قرن ونصف قرن سفينه الشعب المسلم في هذه البلاد التي تتصارع فيها أمواج الديانات والدعوات ، والحركات والاتجاهات ، والحضارات والثقافات ، وتنمو فيها العصبيات الطائفية ، والتناحرات السياسية ، والتصادمات الاجتماعية ، بشكل لا يوجد نظيره في أية دولة من دول العالم .

### من خصائص الجامعة

- ١ - إنها أول جامعة إسلامية أهلية في تاريخ المسلمين في الهند ، قامت بتبرعات شعبية وسارت ولا تزال وستظل - إن شاء الله - تسير بتبرعات الشعب المسلم وحده .
- ٢ - الاعتدال والتوازن في اتباع المذهب واحترام جميع المذاهب الفقهية المعروفة لدى أهل السنة والجماعة ومدارس الفكر الإسلامية المختلفة ، وعدم الإثارة للخلافات الفرعية إلا إذا مсти الحاجة إلى ذلك بشكل ملح لإيضاح حقيقة من الحقائق .
- ٣ - مكافحة البدع والخرافات حتى سُمِّي علماء ديويند بـ «الوهابيين» من قبل أولى الأهواء وعباد الأضرحة المعتقدين في الأولياء والصلحاء والأنبياء اعتقاداً محماً في الشريعة الإسلامية المطهر .
- ٤ - نشر العقيدة الصحيحة المُتوارثة عن النبي ﷺ عن طريق الرعيل الإسلامي الأول من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان من بعد .

وُعِرِفت المدرسة فيها بعد بـ «دار العلوم / ديويند» وقد باركت المدرسة منذ اليوم الأول يُدْ الرحمن ، فشهدت خلال أعوام قليلة ازدهاراً مثالياً لا يعرفه التاريخ لأية مدرسة إسلامية في الهند ، وأضفت عليه من مسحة القبول والحب والشعبية ما لم تحظَ به أية مؤسسة دينية في شبه القارة الهندية ، وأكَسَّبَتها من الاعتبار ما لم يُكتَبْ لأية حركة قامت لإنهاض المسلمين ثقافياً واجتماعياً وفكرياً ودينياً في هذه الديار ، حتى صارت اليوم علامَةً بارزةً لشخصية المسلمين الدينية وهو ينتمي لهم الإسلام في هذه البلاد ، ومنها تفجرت بنايع الثقافة والإصلاح والدعوة التي عمَّت الهند والبلاد المجاورة ثم البلاد الدانية والقاصية ، ومنها انتشرت شبكة المدارس والكتابات والجامعات في شبه القارة ، وباسمها تسمى ؛ فجُلَّ المدارس أسمَتْ نفسها «دار العلوم» وإليها تنسب ، وبها تفتخرون ، وعلى فتاواها وتوجيهاتها الدينية والاجتماعية وحتى السياسية يعتمد الشعب المسلم ، ومهما استثارت بغيرها من المؤسسات ، فإنه لا يرتاح ما لم يستفِتِ دار العلوم هذه ، وإن خريجها أو الخريجين

(٢) انظر للتوضيح في ترجمته كتب «حياة شيخ الهند» للشيخ ميان أصغر حسين الديوبندي و«نقش حياة» و«أسير مالطة» للشيخ السيد حسين أحد المدن و«تذكرة شيخ الهند» للشيخ عزيز الرحمن البجنوري و«حركة شيخ الهند» للشيخ السيد محمد ميان الديوبندي الدلهولي و«أسيران مالطة» له أيضاً و«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والتوازير» للشيخ الشريف عبد الحفيظ الحسني ، ج ٨ ، و«تاريخ دار العلوم / ديويند» لمؤلفه السيد محبوب رضوي ، ج ٢ .

عنها انطباعات رائعة للغاية نبعت من قلبه ، قال فيها فيما قال : «ما قرَّت عيني شيء في الهند بمثل ما قرَّت برأيَة مدرسة ديويند .. وإنِي رأيتُ في مدرسة ديويند التي تُلَقَّبُ بـ «أزهر الهند» نهضة دينية وعلمية جديدة أرجو أن يكون لها نفع عظيم».

وروح الإخلاص هي التي جعلت جميع زائرها من العلماء الكبار وعامة المسلمين يُعجبُون بها إعجاباً يجعلهم يُؤْخذُون بما يجدونه في جنباتها من السحر الديني العجيب والمظهر الجذاب من الجمع بين العلم العميق والعمل السديد بأحكام الدين بحذافيرها، الذي يمتاز به كل من الأساتذة والطلاب والمنسوبيين والمؤطفيين ، الأمر الذي لا يجدونه في أي مدرسة ودار علم بهذه الصورة .

وقد لمس ذلك الأستاذ إبراهيم محمد سرسيق مُثُلُ جريدة «المدينة» اليومية السعودية ؛ إذ كَتَبَ بعدها الصادر بيوم السبت ١٩ / جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ في تقريره الطويل النفس عن الاحتفال المئوي الذي عقده الجامعة عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، وانطباعاته عنه وعن الجامعة ..

«... إنَّ ما رأيْتُه من احتفاء الناس بهذه الجامعة ، قد أثلج صدرِي حقاً ؛ فمن الصعب أن يوجد هذا التعاطفُ بين الناس ومُؤسَّساتِهم العلمية بهذه الدرجة من الحب والتلاحم والذوبان الروحي والتَّعلُّق القلبيّ .

«التعاطف هو الذي ساعدني أن أرى مشهدًا ما شهدته قطُّ إلا في الحجَّ الأكْبَر في عرفات الله ...»

٥ - التوكل على الله ، والبساطة في العيش ، والجهاد للحق ، والتقييد بآداب الشرع الإسلامي ، والتقاليد الإسلامية ، والتزييز بزى العلماء ، والاتسام بسمة الصلحاء .

٦ - المحافظة الكاملة الدقيقة على الشرائع الإسلامية ، ولا سيما الصلاة بالجماعة في مواعيدها ، فالجامعة تُقَيِّد طلابها والعاملين فيها بذلك أولاً وقبل كل شيء ؛ لأنَّه كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنَّ أَهْمَّ شَيْءٍ عِنْدِي الصلاة ؛ فمن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع .

٧ - إنها لا تهتم بالشكل والمظهر اهتماماً بالحقيقة والخبر ، وتحترز من الدعاية ، وتوثر العمل في صمت ، وتعمل كثيراً وتتكلّم إذا مسَت الحاجة إلى ذلك - قليلاً ، وتمتنع امتناعاً كلياً عن إطلاق الدعاوى العريضة والأقوایل الفارغة ، ولا تحب أن تُحْمَد بما لم تفعل ، على عكس عادة معظم المعاهد والحركات الإسلامية المعاصرة .

٨ - إن روح الإخلاص والاحتساب هي التي تسري في جميع أعمالها ؛ لأنَّها تعلم أنه ما كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره انقطع وانفصل . وهذا شيء يلمسه في جميع جنبات الجامعة كُلُّ زائر منها كان رجلاً عادياً .

سرُّ شعبية دار العلوم / ديويند المنقطعة النظير وقد لمس ذلك علامه العالم الإسلامي في عصره الشيخ رشيد رضا المصري صاحب تفسير «المنار» لدى زيارته للجامعة فسجل

المسلمين ، وأبقيت على الكيان الإسلامي في الهند ، وخدمت علوم الكتاب والسنة خدمة مشكورة ، وخرجت نوابغ في فن الحديث والتفسير والفقه ، وعلوم الشريعة ، وصنعت رجالاً مطلوبين لدحض الأباطيل والبدع والخرافات ، والقيام بتبلیغ العقيدة الصحيحة ، وأنجبت أبطالاً في كل من مجالات الكتابة والتأليف والتدريس ، والدعوة والتبلیغ ، والصحافة والسياسة ، والوعظ والخطابة ، وقدرت الشعب المسلم في شبه القارة الهندية هذه المدة الطويلة - عبر قرن ونصف قرن - عن جدارة واستحقاق ، وعن مقدرة وأهلية ، وفي توفيق أيّ توفيق، قيادةً دينيةً وعلميةً، وثقافيةً وفكريّةً، وصارت رمز قوة الإسلام وشوكه الدين ، وعزّ المسلمين ، وانتصار الحق في هذه الديار التي توج بالديانات ، وتتصارع فيها الثقافات ، وتتزاحم فيها الحضارات والدعوات ، والأفكار والأنظمة. والوثنيةُ فيها ذاهبةٌ في أعماق التاريخ المجهولة ، وأوجدت رجالاً أكفاءً تقتضيهم الساعةُ للصمود في وجهِ دولة الاستعمار الموطدة الأركان والشامخةُ البنيان ، التي كانت لا تغرب عنها الشمس ، والتي كانت قد قررت أن تثأر لصلبيتها الحاقدة من الإسلام في هذه البلاد ، مقابل الصفعة المذلة التي صفعها بها صقرُ الإسلام وبطلٍ حطّين صلاحُ الدين (يوسف بن أيوب ٥٣٢-١١٣٨هـ = ١١٩٣-١١٣٨م) في الحرب الدائرة بين الإسلام والصلبيّة ، الصفعة التي كانت لا تزال هي وستظل من أجملها تشعر بألمٍ يُمضّن يحز في القلب ويُشوك في النفس.

إن الشعب المسلم يثق بهذه الجامعة ثقةً لا يُثْقَلُها بأيّة مدرسة أو جامعة في الهند فيها يتعلق بأمور الدين ، ويعتبرها حقاً الملاذ الروحيّ الأكبر في كل ما يداهمه فيها يتصل بالدين والعقيدة والعمل بأحكام الدين في هذه البلاد .

وقد جاء ذكر الأهداف التي من أجل تحقيقها أُسّست دار العلوم / ديويند في الدستور الأساسي القديم بما يلي :

١ - تعليم الكتاب والسنة ، والتفسير والعقائد وعلم الكلام ، والعلوم الأخرى التي لا بد منها لكونها وسيلة إلى تلك العلوم العالية ، وتوسيع المسلمين بأحكام الدين ، والتوجيه الديني ، وخدمة الدين عن طريق الدعوة والتبلیغ .

٢ - تربية الطلاب على الأعمال والأخلاق الإسلامية وإشارة روح الدين في حياتهم .

٣ - القيام بتبلیغ الدين ، وصيانته والدفاع عنه ، عن طريق الخطابة والكتاب ، وإشارة الأعمال والأخلاق والعواطف في المسلمين مثل التي كان عليها السلف الصالح .

٤ - محاولة اجتناب تدخل الحكومة والحفاظ على حرية العلم والفكر .

٥ - إقامة مدارس وكتابات دينية عربية في شتى الأمكنة لنشر العلوم الدينية وإلهاقها بدار العلوم .

إن جامعة ديويند صدوراً عن هذه الأهداف والمنظفات التي وضعتها نصب عينيها انفخت روح الإخلاص والعمل في

الوصول إلى وسائل مادية نصب أعينهم .

إذا رأهم المرء يقين أن الدنيا ظل زائل ، ونعم حائل ،  
يعيشون في الدنيا للأخرة ، ويعملون في العاجلة للبقاء .

وفيما أن الناس يكون «قتلاهم» المتوعين الذين فقدوهم من  
جاه عز عليهم ، أو مال تنكر لهم ، أو ثقافة عصرية ينالون بها حظوة  
لدى الحكام الإنجليز ، أو معارف وأداب يرثون للقوم الحرمان  
منها . . إذا كانوا (هؤلاء العلماء) لا يكرون إلا للإسلام وضياعه ،  
ويقولون بلسان الحال والمقال والفعال «ولكن حزنة لا بوكي له» .

لا نعرف في تاريخ الإسلام في الهند - وظللت غنية دائمة بأبناء  
الإسلام الأولياء المخلصين بعدد لا يحصيه إلا الله - أن مؤسسة  
تعليمية أسست مثل جامعة ديويند بدموع الإخلاص الزكية التي  
سكنها خلاصة عباد الله الصالحين في عصرهم في خلوات الليالي  
الهادئة . . وعمّرت جنباتها بسجود وركوع ، وقيام وقعود ، وذكر  
وتلاوة ، وتسبيح وعبادة ، بالقدر الذي حظيت به هذه الجامعة ،  
وجمعت في رحابها مثل هذه الجامعة دائمة عدداً وجيئها من المخلصين  
المحتسين يُشعّلُون جمرة القلوب وينفحون روح الحياة في الضماير ،  
إذا رأهم الإنسان ذكر الله ، وإذا جلس إليهم اتجه قلبه عفوًا إلى الله ،  
وإذا صاحبهم زهد في الدنيا ، ورغب في الآخرة .

التبرعات الشعبية هي موردها المالي الوحيد

وقد كانت المدارس الإسلامية أو غير الإسلامية على عهد  
الحكم الإسلامي في الهند ، تسير على حساب الحكومة تواً ، أو

مؤسسوا الجامعات ، كان يصدق عليهم حقاً، أنهم رجال صدقوا  
ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يتضرر ، وما  
بدلوا تبديلاً ، رجال حاولوا وسعهم أن يتفقوا والمقياس الذي  
قاد به فقيه هذه الأمة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي  
الله عنه خيار الإنسانية وخلاصة البشرية الذين اختارهم الله لصحبة  
نبيه الأعظم محمد ﷺ : إنهم كانوا أبر الناس قلوبًا ، وأعمقهم علمًا ،  
وأقلهم تكلفاً .

رجال شادوا بسلوكهم وعملهم وعلمهم منارة الإخلاص ،  
وكان الإيمان والاحتساب شعارهم ودثارهم ، أعرضوا عن الدنيا  
ومباھجها وتغادروا من المادية وإغراءاتها ، وتساموا عن كل ما يطمع  
فيه الطامعون ويتنافس فيه المنافسون ، من سمعة زائف ، وصيغت  
يطبق الآفاق ، وتحاشوا بكل حيلة عن أن يتسامع الناس بما يعملونه  
لذات الله وحده مخافة أن ينهار بناء الإخلاص ، وكانوا يخافون أن  
يكون الرب الشكور قد عجل لهم الجزاء في هذه الدنيا العاجلة .

كانوا - جلهم - في بساطة في المأكل والملبس والمظهر ، بحيث  
إذا رأهم المرأ ظن أنهم بدؤ لم يتحضروا بعد ، وأميّون لا عهد لهم  
بالثقافة ، فيهم سذاجة المؤمن حقا الذي إذا رأه المرأة ذي بدء  
حاله مغللاً لا يعرف الحياة ولا جرّب الحلو والمر اللذين تنطوي  
عليهما الحياة .

ولقنا الناس درس القناعة والاكتفاء بالكافاف ، بعدما كانوا  
- الناس - قد جعلوا حطام الدنيا كل شيء ، ووضعوا - الناس -

وَضَعَ لبَّتَهَا الْأُولِي مُؤَسِّسُ جامِعَةٍ «دِيوبِند» وَلَيْسَ لسِيرِهَا وَبَقائِهَا طَرِيقٌ إِلا طَرِيقُ التَّبرُّعِ مِنَ الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَرِيدُ البقاءَ عَلَى الإِسْلَامِ مِهْما كَلَّفَ مِنَ الْجَهُودِ وَتَطَلَّبَ مِنَ الثَّمَنِ وَالْتَّضْحِيَةِ .

وَقَدْ تَجَلَّ وَفَاءُ هَذَا الشَّعْبِ - الْمُسْلِمُ الْهَنْدِيِّ - الْعَجِيبُ وَلَا وَهُ الشَّدِيدُ لِلإِسْلَامِ مِنْ خَلَالِ تَقْدِيمِ كُلِّ عَوْنٍ احْتَاجَتْ إِلَيْهِ الْمَدَارِسُ وَالجَامِعَاتُ ، بِصِفَتِهَا مُعَاكِلٌ إِسْلَامِيٌّ وَحِيدٌ .

حِيثُ ابْتَثَتْ شَبَكَتُهَا - عَنْ طَرِيقِ دَارِ الْعِلُومِ / دِيوبِند - فِي أَرْجَاءِ الْهَنْدِ ، وَقَدْ تَوَجَّدَ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقُرَى الْجَامِعَةِ عَدْدُ مَدَارِسٍ وَكَتَابَاتٍ تُعَلِّمُ الدِّينَ وَعِلُومَ الإِسْلَامِ ، وَتُرَبِّيُّ النَّشَءَ الْمُسْلِمَ عَلَى هَدِيِّ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

آلَافُ الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ تَسِيرُ بِتَبرُّعَاتِ الشَّعْبِ الْمُسْلِمِ وَحْدَهَا ، وَمِنْ بَيْنِهَا بَعْضُ الْمَدَارِسِ الَّتِي تَبْلُغُ مَسْتَوِيًّا أَضْخَمُ جَامِعَةٍ عَصْرِيَّةٍ تَسِيرُ عَلَى حِسَابِ الْحُكُومَةِ .

وَلَذِلِكَ فَإِنَّ مُؤَسِّسَ جامِعَةِ دِيوبِندِ الإِسْلَامِيَّةِ - وَهِيَ الْجَامِعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ الْأُمِّ - لَمْ يُضْعِفْ فِي اعْتِبَارِهِ فِيمَا يَتَّصَلُ بِالموَارِدِ الْمَالِيَّةِ إِلَّا تَبرُّعَاتُ الْمُسْلِمِينَ ، وَفَضَلًا تَبرُّعَاتُ الْفَقَرَاءِ عَلَى تَبرُّعَاتِ الْأَثْرَيَاءِ ، وَتَبرُّعَاتُ الطَّبَقَةِ الْقَلِيلَةِ الدَّخْلِ عَلَى الطَّبَقَةِ الْكَثِيرَةِ الدَّخْلِ ؛ لَأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الْفَقِيرَ دَخْلُهُ الَّذِي كَسَبَهُ بِعِرْقِهِ أَكْثَرُ نُورًا وَبَرَكَةً مِنَ الشَّرِيْعَةِ الَّتِي قَدْ يَرَاقِقُ تَبرُّعَهُ الرِّيَاءُ وَحُبُّ السَّمعَةِ ، وَمَنْعِ منْ تَقْبِلِ تَبرُّعَاتِ حُكُومَيَّةِ حَتَّى لَا يَتَمَهَّدَ الطَّرِيقُ إِلَى تَدْخُلِ الْحُكُومَةِ فِيهَا عَاجِلًا أَوْ آجَلًا .

تَرَصِّدُ لَهَا الْحُكُومَةُ مِنَ الْعَقَاراتِ وَالْأَوقَافِ وَالضَّيْعَاتِ مَا يَكْفِيهَا ؛ وَلَكِنَّ بِسُقُوطِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ وَرَسُوخِ قَدْمِ الْاسْتِعْمَارِ الْبَرِيطَانِيِّ فِي أَرْضِ الْهَنْدِ ، قَدْ تَغَيَّرَ الْوَضْعُ تَعَامِلًا ، وَلَمْ يَعُدْ أَمْلُ فِي هَذِهِ الْمَوَارِدِ مِنْ أَجْلِ تَسِيرِ الْمَدَارِسِ الَّتِي لَا تُعَلِّمُ إِلَّا الدِّينَ وَعِلُومَ الشَّرِيْعَةِ ، وَلَمْ تَنْشَأْ إِلَّا لِلْبَقاءِ عَلَى الْوَجُودِ الإِسْلَامِيِّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا الْاسْتِعْمَارُ يُبَيِّضُ وَيُفَرِّخُ وَيَسْتَهْدِفُ الْكِيَانَ الْإِسْلَامِيَّ رَأْسًا ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَهْدِفَ أَيَّ دِيَانَةٍ فِيهَا مِنَ الْمَرْوَنَةِ وَالنَّعْوَمَةِ وَالْمَلْوَعَةِ مَا يَمْكُنُهَا مِنَ الْهَبَّ حِيثُمَا هَبَّتْ رِيحُ الْأَوْضَاعِ وَالْمَلَبَسَاتِ ؛ وَلَكِنَّ الْإِسْلَامَ كَانَ وَلَا يَزَالُ وَسِيَّظًا هُوَ الْمُسْتَهْدَفُ الْأَوَّلُ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ قَوْيِ الْإِلْحَادِ وَالْاسْتِعْمَارِ ، وَالْمَظَاهِرِ وَالْمُحْرَكَاتِ ، وَالْدُّعَوَاتِ وَالْدِيَانَاتِ .

أَدْرَكَ الْمَنْشُؤُونَ هَذِهِ الْجَامِعَةِ الْمَبَارَكَةِ - وَكَانُوا أَوَّلَيَّ الْمُعِيَّةِ إِيمَانِيَّةِ وَفِرَاسَةِ رَبَانِيَّةِ - أَنَّ الْمَدَارِسِ الْدِينِيَّةِ لَابْدَأَ أَنْ تُؤَسِّسَ الْيَوْمُ عَلَى رَكِيْزةِ تَبرُّعِهَا الشَّعْبُ الْمُسْلِمُ مَا كَسَبَهُ بِكَدَّ يَمِينِهِ وَعَرْقِ جَيْنِهِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَكِرَةُ ذَاتُ بُعْدٍ صَحِيْحٍ صَدَقَتْ صَحَّتْهُ الْأَوْضَاعُ الَّتِي مَرَّ بِهَا الشَّعْبُ الْمُسْلِمُ حَتَّى بَعْدِ جَلَاءِ الْاسْتِعْمَارِ وَتَوْزُعِ الْهَنْدِ بَيْنِ دُولَتَيْنِ : الْهَنْدُ وَبَاكِسْتَانُ ، وَقِيَامِ حُكُومَةِ عَلَمَانِيَّةِ فِي الْهَنْدِ لَا تَنْحَازُ دَسْتُورِيًّا لِدِيَانَةِ دُونِ دِيَانَةٍ ، وَإِنَّمَا تَقْفَ مِنْ جَمِيعِ الْدِيَانَاتِ مَوْقِفَ الْحِيَادِ . وَيَحْتَمُ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ أَبْنَاءِ دِيَانَةٍ أَنْ يَحْتَظُفُوا بِهَا بِدُورِهِمْ ، وَيَتَّخِذُوا التَّدَابِيرَ لِتَعْلِيمِهَا وَتَبْلِيغِهَا عَلَى حِسَابِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَّا الْمُسْلِمِينَ طَرِيقٌ إِلا طَرِيقُ هَاتِ الْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَاتِ الَّتِي

- \* عارضوا الحملات الفكرية الصليبية وهجمات المستشرين ودحضوا شبهات المشككين حول الإسلام.
- \* قاوموا كل دعوة هدمية ملحدة، وحركة طاغية ، كالقاديانية والبهائية وما شابهها .
- \* استأصلوا البدع والخرافات التي قامت باسم الإسلام .
- \* أبطلوا محاولة الاستعمار البريطاني لتلوين أفكار المسلمين وإبعادهم عن روح الدين و وضع موازين جديدة وقيم حديثة في نفوسهم .
- \* كافحوا ضد الاستعمار حتى استخلصوا من برازنه الوطن ؛ فاستقلَّ الهند وتحررها من الاستعمار الإنجليزي يرجع فيه الفضل بشكل طبيعي إلى جهود علماء ديويند ومشايخهم .
- \* اسْتَرْعَوْا انتباة المسلمين إلى قوله تعالى « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شَهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » (البقرة/١٤٣) وأثبتوا في أذهانهم أنهم أمة أُخْرِجَتُ للناس تأمرهم بالمعروف وتنهائهم عن المنكر.
- \* ساهموا مساهمةً فعالة في كل دعوة وحركة ذات ملامح إسلامية قامت في العالم لخدمة الإسلام وصالح المسلمين .
- \* أيدوا القضايا الإسلامية والعربية التي ثارت في بلاد المسلمين أو في أقطار أخرى تأييدها قولياً وعملياً بكل ما لديهم من الوسائل والإمكانيات ، ولا سيما قضية فلسطين .
- \* قاموا بالتأليف والكتابة، والترجمة والتحقيق ، والتحشية والتعليق في الموضوعات العلمية والدينية ، حتى اكتسب كثيرٌ منهم

والعلماء المترجون من دار العلوم / ديويند يقومون بنشاطات متنوعة في الريادة الدينية وال مجالات الاجتماعية والسياسية ، ويؤدون خدمات متعددة الجوانب كالتدريس ، والإفتاء والقضاء ، والدعوة والإرشاد ، والخطابة والإمامية ، والصحافة والتأليف ، والبحث العلمي والقيادة العامة . كما يشغل البعض بأعمال حرة أخرى كالتجارة والزراعة والصناعة ، ويمكن تلخيص بعض النواحي لخدمات علماء دار العلوم / ديويند في سطور بما يلي :

- \* نشروا الثقافة الإسلامية والعقيدة الصافية في بيوت المسلمين عن طريق التعليم والصحافة والتأليف والإرشاد .
- \* أيقظوا المسلمين بعد ما كانوا في سبات عميق ، وأحدثوا فيهم الروح العلمية والغيرة الإسلامية وذَكَرُوهم بواجبهم ووظيفتهم في هذه الحياة .
- \* عرّفوا الناس بتعاليم الإسلام الصحيحة الخالية من شوائب الوثنية والبدع والخرافات ، وزودوهم بالأفكار الإسلامية النيرة المغذية للقلوب، المنعشة للعقول .
- \* حضّوهم على التمسك بالدين النقي والقيام بالواجب وهجر العادات والتقاليد الجاهلية التي زينتها لهم الشيطان .
- \* أقاموا شبكة المدارس الإسلامية العربية وحوّلوها إلى قلاع منيعة يذودون بها عن حمى الدين ويحافظون على تراث الإسلام .

شهرة عالمية بخدماتهم في علوم الحديث خاصة والعلوم الأخرى عامه .

\* حرصوا دائمًا على التمسك الشديد بالكتاب والسنة ، وتفانوا في نشر علومها على المستويات كافة وفي شتى الميادين ، صامتين جادين مخلصين لله ، بعيدين عن التظاهر والتفاخر .

#### نظرة عَجْلَى على إنجازات دار العلوم / ديويند

ونظرة عَجْلَى على إنجازات دار العلوم / ديويند تبيّن أنّها لم تقتصر خدماتها على نشر علوم الكتاب والسنة ، وإن كان ذلك واسطة العِقد في خدماتها ؛ بل قامت – إلى ذلك – بدور طليعي في مجال الدفاع عن الدين بأوسع معانيه وأشمل دلالاته ، فبينما هي أقامت سدًا منيعًا دون الهجمات المكثفة على الإسلام التي قامت بها الديانات الباطلة والحرّكات والدعوات الهدامة من الأرية الهندوسية ، والشيعة والقاديانية وغيرها ، إذ هي ظهرت المجتمع الإسلامي من التقاليد والخرافات والبدع التي تسربت إليه من جراء الجوار : جوار الهندوس الوثنين ؛ حيث أخذ المسلمون – ولا سيما الجهال – كثيراً من عاداتهم في الآلام والأحلام ومناسبات الزواج والموت والتأبين .

إن كثيرًا من علماء دار العلوم / ديويند تفرّغوا للكتابة والخطابة في موضوع فتنه من هذه الفتنة المشار إليها ، ووقفوا حياتهم كلها على إنقاذ الأمة من ويلاتها . فالقاديانية التي زرعها الاستعمار الإنجليزي تفرّغ لها كبار

علماء ديويند وعلى رأسهم العلامة المحدث العبرى الشيخ محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله (١٢٩٢-١٣٥٢ هـ = ١٨٧٥-١٩٣٣ م) وتلاميذه ، فألفوا عشرات الكتب ، ولاحقوا علماءها في الميدان ، ولم يقعدوا حتى أعلنت باكستان ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بكفرها . ولا تزال دار العلوم / ديويند تحاربها على جميع المستويات ، وقد أقامت في محيطها قسماً مستقلاً باسم «قسم صيانة ختم النبوة» يتحقق به الطلاب المتخرّجون في علوم الشريعة ، ويتأهّلون لمحاربتها عن طريق الكتابة والتأليف ، والمناظرة في الميدان ، وإقامة محبيّات في شتى الأمكنة ، لتوسيع المسلمين بأخطارها وأساليب خداعها واصطيادها للسُّدُّج من المسلمين ولا سيما الأميين .

كما قاومت دار العلوم البدع والخرافات ، حتى امتازت بذلك واشتهرت ، ونَخَصَّصَ كثيرًا من علمائها وتقرّغوا الملاحقة للمبتدعين عن طريق التأليف والخطاب وبكل أسلوب من أساليب الإصلاح والتوعية ، حتى صارت دار العلوم / ديويند مدرسةً مستقلةً ، وصارت «الديويندية» عنوانًا على محاربة البدع والتقاليد الخرافية التي لا تجيئ إلى الإسلام بصلة . وألّف علماء ديويند مئات من الكتب في هذا الموضوع .

وكذلك فتنه الشيعة تصدّى لها علماء ديويند وألّفوا في هذا الموضوع كتاباً قيمة ، كما كافحوا التقاليد التي روجّها الشيعة بين المسلمين ، وناذروا الشيعة في الحفلات العلنية ، وقد أبلى الإمام

الصحيح ، والدعوة إلى الله ، والرجوع بال المسلمين إلى الكتاب والسنة ، والإتيان بهم إلى المساجد ، وجعلهم يُصَحّحُون صلتهم بالله ، ويؤمنون من جديد ، فنهض أحد علمائها وهو الشيخ محمد إلياس الكاندھلوي رحمه الله (١٣٠٣-١٣٦٣ هـ = ١٨٨٥-١٩٤٣ م) فأسس «جامعة الدعوة والتبلیغ» وحرکَ وفود الدعوة وجعل عامة المسلمين يتصلون بالمسجد ، ويطرِّحون على عتبة الله ، ويتعلّمون الدين بأسلوب سهل ، وحوّلها حركة دعوية كبرى عالمية لا نظير لها في العالم ، وبذلك أوجَدَ طریقَ التواصل بين المسلمين في العالم لأول مرة ، وتعَرَّفَ المسلمون على إخوانهم في الدنيا ، وعلِمُوا بقضاياهم ومشكلاتهم ، وعملُوا على المساهمة في مشاركة الأحلام والألام ، وأيقنوا أنهم إخوةً متحابون في الله لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لأسودٍ على أحمرٍ .

وذلك كُلُّه بفضل الله وحده ، الذي يخلق لكل عمل رجالاً ، ويُقيِّضُ لكل قضية من يتَّصَدّى للعمل على حلها .

هذا، وإن دار العلوم / ديويند لا تزال على مستوى الشعور بالمسؤولية ، فهي تعيش على اتصال دائم بالشعب المسلم الهندي ، وتُوجّهه في قضاياه ومشكلاته ، وتوجد لها حلاً في حدود مستطاعها ، وتزيل كلّ عائق يعترض سبيل العمل بالدين والشريعة في هذه البلاد التي تمسكت بالعلمانية بعد الاستقلال عن الاستعمار البريطاني ، فمنذ سنوات طويلة أقدمت على تأسيس هيئة لعلوم الهند باسم «هيئة الأحوال الشخصية لسلمي عموم الهند»

محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم / ديويند في ذلك بلاءً حسناً ، وتلاه خلفاؤه وتلاميذه وعلماء ديويند الآخرون ، وكان للشيخ عبد الشكور اللکنوی (١٢٩٣-١٣٨١ هـ = ١٨٧٦-١٩٦٢ م) في ذلك القدر المُعَلَّى ، حيث قام بجهاد كبير ، وبذل جهوداً مضنية ، ووقف حياته على مكافحة التشيع ، وأَلْفَ عشرات الكتب ، منها تنبيةُ الحائرین ، والنصرة الغيبة ، وقاطع اللسان ، والقولُ المحكم ، والآيات المحكمات ، و«فحص بیوت قاتلی الحسین» وغير ذلك .

وكذلك قاومت دار العلوم كلّ دعوة هدامة ، وفكرة متطرفة ؛ لأنها لازمت منذ اليوم الأول أسلوب الاعتدال والتوازن ، فتصادمت معها كُلُّ نظرية متطرفة .

إن دار العلوم / ديويند تحترم جميع السلف الصالحين والعلماء المجتهدين ، والأئمة من الفقهاء والمحدثين ، وإن كانت تُقلّد في المذهب الفقهي الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله تعالى ؛ ولكنها تحترم الأئمة الآخرين احتراماً للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

وهي لا تؤمن بالتسّرّع إلى تكفير المسلمين وتبديعهم وتفسيقهم ، مالم يقم دليل صريح لا يقبل تأويلاً على كفر أحد أو ابتداعه أو فسقه ؛ لأن ذلك قضية خطيرة فلا يجوز التسرّع في ذلك ، كما يصنع كثير من طوائف المسلمين ومدارس الفكر المتنمية إلى الإسلام .

وإن دار العلوم رَكَّزت جهودها كذلك على نشر الدين

عندما رأت أنه كثر التطاولُ من قبل المتطرفين الهندوس على قانون الأحوال الشخصية وبدأوا يزرون حواجزَ في سبيل العمل بكثير من أحكام الدين وعيش المسلمين بهويتهم الإسلامية . وهي اليوم أكبرُ وأقوى منصّة إسلامية متحدة للشعب المسلم الهندي ، ينضمّ إلى عضويتها مئلؤن عن جميع مدارس الفكر الإسلامي وطوائف المسلمين في الهند ، وهي فعالة سباقة إلى حل كل مشكلة يتعرض لها الشعب المسلم الهندي فيها يتعلق بدينه وعقيدته وشريعته .

وإذا كان لعلماء ديويند الدورُ القياديُّ في محاربة الاستعمار الإنجليزيِّ وتحرير الهند ، فإنَّ لهم اليوم أيضًا مساهمةً فعالةً في القيادة السياسية للبلاد ، فالحكومات المتعاقبة في الهند بعد الاستقلال ظلت تقيم لقيادتهم السياسية وزناً خاصًّا ، وظلت كلماتهم مسموعةً في المحافل الحكومية فيها يتعلق بقضايا الشعب المسلم الهندي .

وإلى ذلك كله وغيره ، ألفَ علماء ديويند في شتى الموضوعات الإسلامية الأساسية وغير الأساسية ، وفي موضوعات الدفاع عن الدين ، من الكتب ما كونَ مكتبةً غنيةً منقطعة النظير ، وهي باللغة العربية والأردية والفارسية ، ولو تم نقلها إلى اللغات الحية العالمية لدهش العالم كله من علمهم الغزير ، وفكرهم الثاقب ، وذكائهم العجيب ، وعصريتهم الفريدة ، كما احتار من إخلاصهم الذي ضمن لدار العلوم / ديويند هذه الشعبيَّة والمحبوبية اللتين لا يوجد نظير لهما بالنسبة لأيِّ دارٍ علمٍ في الدنيا كلهَا .

\* \* \*



حَكِيمُ الْأَمَّةِ مَنْزِلُ (دارِ القرآن)



شَيخُ الْهَنْدِ مَنْزِل